

أضواء البيان

@ 101 { وَآخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } . قد قد منا الآيات الموضحة له في سورة (المائدة) ، في الكلام على قوله تعالى : { فَسَوِّفَ يَأْتِيَ اللَّاهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ } ، وفي (الحجر) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَآخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ } ، وقد وعدنا في سورة (بني إسرائيل) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } ، بأنا نوضح معنى خفض الجناح ، وإضافته إلى الذل في سورة (الشعراء) ، في هذا الموضع ، وهذا وفاؤنا بذلك الوعد ، ويكفيينا في الوفاء به أن ننقل كلامنا في رسالتنا المسمّاة : (منع جواز المجاز في المنزل للتعبّد والإعجاز) . فقد قلنا فيها ، ما نصّه : والجواب عن قوله تعالى : { وَآخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ } ، أن الجناح هنا مستعمل في حقيقته ؛ لأن الجناح يطلق لغة حقيقة على يد الإنسان وعضده وإبطه . قال تعالى : { وَاصْطُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ } ، والخفض مستعمل في معناه الحقيقي ، الذي هو ضدّ الرفع ؛ لأن مريد البطش يرفع جناحيه ومظهر الذل والتواضع يخفض جناحيه ، فالأمر بخفض الجناح للوالدين كناية عن لين الجانب لهما ، والتواضع لهما ؛ كما قال لنبيّه صلى الله عليه وسلم : { وَآخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } ، وإطلاق العرب خفض الجناح كناية عن التواضع ، ولين الجانب أسلوب معروف ، ومنه قول الشاعر وإطلاق العرب خفض الجناح كناية عن التواضع ، ولين الجانب أسلوب معروف ، ومنه قول الشاعر % (وأنت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه أجدلا) % .

وأما إضافة الجناح إلى الذلّ ، فلا تستلزم المجاز كما يظنّه كثير ؛ لأن الإضافة فيه كالإضافة في قولك : حاتم الجود . .

فيكون المعنى : وخفض لهما الجناح الذليل من الرحمة ، أو الذلول على قراءة الذل بالكسر ، وما يذكر عن أبي تمام من أنه لما قال : فيكون المعنى : وخفض لهما الجناح الذليل من الرحمة ، أو الذلول على قراءة الذل بالكسر ، وما يذكر عن أبي تمام من أنه لما قال : % (لا تسقني ماء الملام فإنني % صب قد استعذبت ماء بكائي) % . جاءه رجل فقال له : صب لي في هذا الإناء شيئاً من ماء الملام ، فقال له : إن أتيتني